

www.kotobarabia.com
أذكر
www.kotobarabia.com
شكيب جهشان
دار العالم الثالث

أَذْكُـــــــــرُ

شكيب جهشان



دار العالم الثالث

سلسلة الأدب الفلسطيني

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

-١-

يا عمريَ المنهوبَ

يا تراكضَ السنينْ

شابت على ذوائبي الأيامُ

واكتوتْ

من وجعي الأحداقُ والجفون

القدم اليمنى تدقُّ عتْبةَ الكهولة

والقدم اليسرى

تشدُّ عمريَ المنهوبَ نحو روعةِ الطفولة

أسير للأمامْ؟! لا

يا ليتني أسيرُ للوراءْ

يا ليتني أسير للوراء

يا عمري المنهوبَ، يا تراكض السنينْ

من يشتري الرجوله

بلحظةٍ من عبث الطفوله

وألم الطفوله

وغفوةٍ على ضفافِ ساعدٍ معطّر أمينْ؟!

يا عمري المنهوبَ،

يا تراكضَ السنينْ

يا ليتني أسير للوراء

أعيد رحلة السنينَ والحنينْ

ورحلة الغناءِ، والبكاءْ؟!!

-٢-

أذكُرُ ذاتَ يومْ

نبَّهني صياحُ ديكِ جارنا داوودْ

وفرَّ منْ عينيَّ

طيفُ النَّوْمْ

وأصبح الفراشُ تحت جنبيَ المحتارِ

جَمْرَ نارْ

وجارنا داوودْ

يُفيق قبل طلعة النهارْ

يسعل مرتينْ

يعطس مرتينْ

فتولدُ الأضواء في مفارقِ الدروبْ

حيبةً كبسمة الورودْ

وعَذْبةً كوشوشواتِ العينْ

ويخطرُ النهارُ

يخطرُ النهارْ

واذ تطلُّ الشمسُ مثلَ العرسِ

فوقَ صفحة البحيره

وهامةِ الشجيره

أسير للمدرسة الشرقية

في عنقي بيت كتابْ

وخطويَ واثقةً قويه

أعرف أن الدربَ شائكٌ طويلْ
وأنني في أول الطريقْ
لكنني أرفُّ مثلَ نسمةِ الحقولْ
في عنقي بيتُ كتابْ
وفي كياني تنبض العروقْ
وفي مدى عينيَّ تزهر الوجوهُ
والترابْ

-٣-

أَذكُرُ ذاتَ ليلةٍ ليلاءَ

في كانونْ

إنهمر الثلج على سطوحنا

والتمَّت الأسرةُ حولَ الموقدِ الحنونْ

وقطتي تمدُّ قدَّها الجميلَ في عيوننا

وترصُدُ اللهبْ

والموقدُ المجنونْ

يلتهمُ الصدورَ والعيونَ

والحطبْ

ويكبر اللهبْ

وجدتي تسكبُ آذاننا

حكاية الشاطِرِ والجِنّيَّه

وتصفر الرياحُ والعواصفُ الشِتْويه

وترجف الأبوابُ والآذانُ والصدورْ

ويكبر اللهبْ

وجدتي

تُمِرُّ فوق شعريَ المقرورْ

كفاً من الذهبْ

ويصرخ الناطورْ:

وين النشاما وين؟

وتصفرُ الرياحُ

تصعد الرياحُ

تهبط الرياحْ
وصرخةُ الناطورِ
فوق التلّ
فوق السهلِ
في الدروبْ
وتهلع القلوبْ
وتصفر الرياحُ،
تصعد الرياحُ،
تهبط الرياحْ....
وين النشا
وين النشا
وين النشاما وين؟!

انتهك اللصوصُ بيت العمة العجوزِ

أمِّ حْسينْ

وسرقوا الحمار والعنزاتْ

وارعبوا البناتْ.....

.....

ينهمر الثلج على سطوحنا

ينهمر الثلج على قلوبنا

وتصفر الرياحُ، تصعد الرياحُ، تهبط الرياحْ

ويصرخ الناطورْ:

يا سامعينَ الصوتْ

صلوا على النبي

انتصر الرجالْ

وارجعُوا الحمارَ والعتزاتْ

وفرحةَ البناتْ

صلُّوا على النبي

صلوا على النبي ...

.....

ويسكت الناطورْ

وتهدأ الصدورْ

والعمة العجوز ((أم حسينٍ))

والبناتْ

يَنَمْنَ ملءَ العينْ

يَنَمْنَ ملءَ العينْ

-٤-

أَذكُرُ

إذْ ينعقدُ الميدانْ

يُغرِّدُ المكانُ في قريتنا

والطيرُ

والزمانْ

ويستريح القمح في أهرائِهِ

وترتوي من خمرها

الدنانْ .....

.....

.....

أَذكُرُ إذ تنطلقُ الخيولُ حُرَّةً

في حلبةِ السباقْ

يصيرُ سطح بيتنا

حديقةَ الرفاقْ

وتصبح الحياةُ في حارتِنا

شهيّةَ المذاقْ

وتستعيرُ الريحُ في رقتها

حلاوةَ العناقْ .....

.....

.....

من علم الخيولَ

أن تلون الحقولَ

بالمواسم العذابْ

وتزرعَ الفَرَحْ

ومن رأى الجناحَ

كيف أودعَ الصباحَ

في مفارق السحابْ

وجَّمَ القدحْ؟!!

.....

.....

يا حسنُ النوريُّ

أين أنتْ

يا حسنُ النوريُّ

كيف أنتْ ؟!!

.....

.....

أَذكُرُهُ يصولُ في العيونِ

ويستطيب صهوةَ الجنونِ

أذكُرُهُ يؤرّقُ الصبايا

ويملأُ البيوتَ بالمرايا

أذكُرُهُ يبدِّد الجيادا

ويَبْهَرُ السهولَ والوهادا

.....

.....

أذكُرُها فرسَةُ النوريّه

مضمومةً كحزمة الرماحْ

أَذكرها غلاَّبةً أبيّة

وطلْقةً كَلَفْتَةِ الملاحْ

أَذكُرُها كحيلةً نشْميَّة

تُزهرُ في جبينها الأقاحْ

.....

.....

أَ ذكرُها سيدةَ الخيولْ

أَذكرُها تجنِّنُ العقولْ

.....

.....

يا حسنُ الغريبُ

أين أنتْ ؟!!

يا حسن العجيبُ

كيف أنت ؟!!

.....

أَذكُرُه يجيئ في الميدانِ وحدَهُ

ووحدَهُ يروحْ

أَذكُرُه كالأسدِ الجريح

أَذكُرُه يصيحْ:

أنا الذي سبقْ

أنا الذي سبقْ

أذكُرُهم يردّدون كلُّهم

في صيحةٍ تزلزل الأفقْ

هو الذي انسحقْ

هو الذي انسحقْ

هو الذي

هو الذي

هو الذي انسحقْ

أَذكُرُه كالأسدِ الجريحْ

ينهارُ في التراب عاجزاً

وبلعق الجروح

.....

.....

.....

من يومها

عرفت كيف يأكُلُ القويُّ

خبزةَ الفقيرْ

ويومَها رأيْت كيف يفقدُ الدوريُّ صوتَهُ

في حضرةِ الصقورْ

.....

.....

يا فرساً كانت تردُّ العيْنْ

رأيتها تذرفُ دمعتينْ

في دمعةٍ

تبكي على حسنْ

ودمعةٍ

تبكي على الزمنْ

-٥-

أَذكرُ ذاتَ عيدْ
ما لوّنت أمي من البيضِ
سوى عشرينْ
وما اشترى أبي من الحلوى سوى سفطْ
واخوتيَ الصغارُ
جمعوا، وجمعوا، وجمعوا الزهورْ
ووزعوا نيسانَ في جوانح الدارِ
ووزّعوا العبيرْ
وانتظروا الوعودْ

أَذكرُ
ذاتَ عيدْ ....

......

ما لوَّنت أمي من البيضِ سوى عشرينْ
وما اشترى أبي من الحلوى
سوى سفطْ
غمامةٌ تاهت على مشارفِ الحنينْ
وفارسٌ سقطْ ....

......

وإذ أطلَّ العيدُ في الصباحْ
رأيت في جفونِ أميَ الحنونِ رعشةً
رأيت في جبينها

تخوف الورودِ من بذاءةِ الرياحْ

واخوتي الصغارُ ، ينضحون فرحةً

وريحةً كريحةِ التفاحْ

وفاضت الألوانُ في أكفّهم

وذابت الألوانُ في أكفّهم

ما لونت أمي من البيض سوى عشرينْ

وذابت الأفراحُ في الصدورْ

فاختنقت رائحة التفاحْ

وصاحت الأفواه والعيونْ:

لا، لم يقم يسوعْ

وأمي الحنونُ تحت ذقنها

تنعقدُ الدموعْ

وتهطل الدموعْ

ورددت في الساحة الألوانُ والقشورْ:

لا لم يقم يسوعْ

لا لم يقم يسوعْ ...!!

ووالدي ينهارُ فوق مِقعدٍ مقرورْ

وتصبح الألوانُ والأفراحُ والأزهارُ

كومةً من القشورْ ....

....

يختنق التفاحُ والصباحْ

ووالدي ينهار مثلَ طائرٍ

مُهشَّمِ الجناح ....

....

أَذكُرُ يوم العيدْ

انتشر الأطفالُ كالأزهارِ في الدربِ

إلى الكنيسه

ولم يَرُقْ لي يومَها

بنطاليَ الجديدْ

ولم تَرُقْ لي ياقةُ القميصْ

ولم تَرُقْ لي فرحةٌ في مقلتيْ صديقتي أنيسه

ورنةُ الأجراسِ فوق قبة الكنيسه

ولم يَرُقْ لي العيدْ ....؟!!

وسرت في انكسارْ

وطالت الدربُ الى الكنيسه

وأعولت في سرِّها

صديقتي أنيسه
وكانت الدموع فوق خديَ الطريّ
مثلَ النارْ
بنطالِيَ الجديدُ واسعٌ، مفضفضٌ رخيصْ
وأعينُ الكبار والصغارْ
تنهالُ كالذباب، كالعذابِ
في اهتراءِ ياقة القميصْ

....

أَذكُرُ يوم العيد في المساءْ
علمت أن والدي قد سار في تجارةٍ صغيره
يبيع بعض الزيت والزيتونْ
وعاد من سفرته القصيره

بقبضةٍ من الرياح والهباءْ

وخاطرٍ مشردٍ حزينْ

ولونت أمي من البيض لنا عشرينْ ....؟!

بنطاليَ الجديدُ واسِعٌ، مفضفضٌ، رخيصْ

لكنه جديدْ

يمرُّ يومُ العيدْ ....!!

.....

أَذكُرُ في المساءْ

أحسسْتُ أن أمي الحنونْ

غمامةٌ تلفع الترابَ والهواء والسماءْ

وشمعةٌ توزع الضياءَ والعطاءَ، والغناءْ

–٦–

أَذكُرُ إذ تنقلب الفصولْ

تنقلب الألعابُ في أكفنا

سحريةَ الأصولْ

تهترئُ الحقولْ

وتزهرُ الحقولْ

ونحن في ابتكارنا

نسابق الفصولْ

....

....

يهلُّ في اشراقِهِ تموزْ

تمتلئُ البيادرُ الفِساحُ بالذهبْ

ويستوي العنبْ

وجدَّتي العجوزْ

تستلُّ ماء الثلجِ من شفاهِ كوزْ

يا سَلَّةَ القصبْ

تفيضُ من جفونها النهودُ والثمارْ

قد عاد من رحلِتِه الوروارْ

وعادت الكنوزْ

يسافر الأطفالُ فوق نَوْرج مسحورْ

يسافر الأطفالُ

لعالمٍ موردٍ مخمورْ

حدودُهُ الخيالْ

أغنيةٌ تجيء من معاطف الرياحْ

عتيقة الحنينِ والمراسْ

تعمِّر الجبال والقلوبَ والبطاحْ

أغنيةٌ تدورْ

يزفُّها الدرّاسُ من هيامِهِ

يردُّها دراسْ

....

....

النورجُ المسحور مبحرٌ

من مطلع الضياءِ

حتى مرفأ الشفقْ

يزقزق الفراخُ خلف طابة الخِرقْ

وفي حدود الشمسِ تستريحُ من يدي

طيارةُ الورقْ

وعُلبة السردينْ

سيارةٌ تشقُّ دربها

في ناعم الترابِ والقصلْ

تشق دربها

تحمِّل الحبوبَ والفراش والعسلْ

......

......

ينطفئ النهار والعيونْ

ونحن نذرع الكروم

نفتش الجذوع، نقلب الفروعْ
فحبَّةٌ منسيّةٌ خلف غصونِ التينْ
وعُلبةُ السردينْ
عرسان في تشرينْ
......
......
تقول جدتي:
كانونُ يا أولادُ شهرُنا الأصمّ
نقعُدُ في بيوتنا، نلتمّ
تهترئُ الحقولْ
ونحن في ابتكارنا
نسابقُ الفصولْ ..... ؟!

نجمّع المياه، نحفر الأنهارَ والبحارَ والبِركْ
ونصنع السفائن العظامَ
نزرعُ السمكْ
ويهطل المطر
نغوص في الوحول ندفع السفائنْ
ونبتني المطاحنْ
سيدتي بَرْباره
قد غمر الطوفانُ بيتَ الفاره
ينهمرُ المطر
وجدتي العجوزْ
تقعد في فراشها تلتمّ
في شهرها الأصمّ

ينهمر المطرْ

ويعطر الحجرْ

ونحن تحت صعقةِ الرياحِ والغيوم والسماءْ

يطير من أقدامنا الشررْ

ندوّرُ المطاحنْ

وننشر الشراع للسفرْ ؟!!

.....

.....

.....

يُفيق زهرُ اللوزِ من سباتِهِ

تبرعم الصخورْ

نيسانُ يا نوارة الشهورْ

تترع الحقول بالأطفالْ

يلملمون الطلَّ والفَراشَ والزهورْ

ويرشفون أعذب الشرابْ

من نقرة في الصخر،

أو في صفحة الترابْ

......

......

اللهُ يا نيسانْ

يا باقة عبيرها الأطفالُ والحنانْ

وزهرُها خميرة الزمانِ

والمكانْ

-٧-

أَذكُرُ... كان يسقط الأطفالُ في قريتنا
في الصيف والشتاءْ
تساقُطَ الأوراقِ في الخريفْ
يا حظّنا المخيفْ .... ؟!!
تغامر النساءْ
وتنجب النساءْ
ويسقط الأطفال في قريتنا
في الصيف والشتاءْ
مثلَ ثمار التوتْ

وتظلم البيوتْ

......

أَذكُرُ كان بيتُنا

جدرانُهُ ترابْ

وسقفُهُ خشبْ

أجزاؤه الثلاثة العذابْ

دفيئة الأنفاسِ والصخبْ

رُواقُهُ

سقيفة الدجاجِ والحمامْ

ومذودٌ في الليل والنهارِ

لا ينامْ

وجزؤه الوسطْ

مصطبة للنوم والطعامْ
وملعب لنا، وللقططْ
والثالثُ المنيفُ
سُدَّةٌ للصيفِ، والضيوفْ

......

......

أَذكُرُها حبيبتي الأميرَه
يُطل من جبينها القمرْ
وفوق خدها اليمينِ
فوق خدها الشمالْ
يُرفرف الحسونُ والتفاحُ، واللآل
أَذكُرُها حبيبتي الصغيره

تنطُّ في الزوايا

قبرَّةٌ طليقةَ الجناحْ

توزع الغناء في الحنايا

وفي العيونِ تزرع الأقاحْ

حبيبتي الأميرةُ العصفوره

يُطل من جبينها القمرْ

وخلف ظهرها

تغرِّبُ الضفيرة

تشرِّق الضفيرة

ويسحر الياقوت في عيونها

ويورق الشجرْ

......

......

......

ومثلما تلُمُّ في المسا دجاجةٌ فراخها

يلمنا من حوله الطبق

ومثلما تنام في معاطف السحابِ حمرة الشفق

تنام أختي الأميره

تنام فوق ساعدي

هانئة قريره

.....

.....

تنهمر الأضواءُ فوق الوجنة اليمينِ

فوق الوجنة الشمالْ

وترقص الظلالْ

وبيتنا الترابْ

يضمنا، يضمنا، ويعصُرُ الحنينُ أَضلُعَهْ

ومن جفون كوةٍ

إلى يسار البابْ

يبتسم القنديلُ رقمُ أَربعه

ويخفق اللهبْ

فينحني من وجدِه

في سقفنا الخَشَبْ

....

....

تغامر النساءْ

وتنجب النساءْ

يسَّاقط الأطفالُ في قريتنا

في الصيف والشتاءْ

مثلَ ثمار التوتْ

وتظلم البيوتْ

.....

.....

أَذكرها حبيبتي الأميره

تنام فوق سُدة الضيوفْ

نَوْمَتَها الأخيره

.....

.....

يا حظنا الوجيعْ

يحترق الفتيل والقنديل والضلوعْ

يا حظنا الوجيعَ

كيف تستباحُ زهرةٌ من قبل أن تضوعْ

يا حظنا الوجيعَ

كيف ينتهي في لحظة انبجاسِهِ الينبوعْ

وبيتنا الدفيء كيفْ

وبيتنا الوضيءُ، كيفَ، كيفَ، كيفْ

يا حظنا الوجيعْ

تغمره الآهاتُ

والدموعْ ؟!!

.....

.....

.....

تغامرُ النساءْ

وتنجبُ النساءْ

وتملأ البيوت في بلادنا

في الصيف والشتاء

ولولة النساءْ ؟!!!

-٨-

أَذكُرُ إذ تتكئ الشمسُ على مناكب الجبالْ

وإذ يسيل الوردُ من ذوائب الضياءِ

من حدائق السماءْ

تنتظر الدروبُ والبيوتُ والفِراشُ

خطوة الرجال

ونَفَس الرجالْ

.....

أَذكُرُ كل عصرْ

ينتشر الأطفالُ في الفضاءِ مثل العِطرْ

ويرقبون عودة القطيع من مسارب الجبال

ويخطُر القطيع في الأزقة الظليله

جلاجلٌ ترنُّ في الدروبْ

جلاجلٌ تُعيد في القلوبْ

فيعبق الترابُ

والنسائم العليله

وتلثُم الشمسُ مفارق الجبالْ

ويفرحُ الأطفالْ

....

أَذكُرُ إذ تتكئ الشمسُ على مناكب الجبالْ

تواعد النساءُ

طلةَ الأجراسِ والرجالْ

تنهمر الأجراسُ كالغناءِ في جوانح النساءْ
ويرفع الخوري إلى السماءِ
أجمل الدعاءْ

.....

تنهمر الأجراسْ
تنهمر الأجراسْ
تنهمر الأجراسْ كالغناء
وتلثم الشمسُ مفارق الجبالْ
وتلثم الدروب خطوة الرجالْ
وترفع النسوة للسماءِ
أصدق الدعاءْ
يا لقمة العيالْ.... يا لقمة العيالْ

-٩-

أذكر كانت قريتي

بحراً من الزيتونْ

لكنني أكلت أكثر الطعامِ دونَ زيتْ

أذكر كانت عمتي

أرملةً تمارسُ النواحَ والأنينْ

لكنها تلتقط الحبوب خلف منجل الحصادِ

تطعم الفراخَ يومَ يومْ

وأكثر الأكلاتِ دونَ زيتْ

لكنَّهُ

يظل مفتوحاً

يظلُّ البيتْ

.....

ووالدي يعمل بعضَ عامْ

وجارنا يعمل بعضَ عامْ

ونسوةُ البلدْ

يعشْنَ نصف عمرهنَّ في زرائب الدجاجِ والحمامْ

....

أَذكر كان والدي، يأكل مرةً

في العامِ كُبَّةً

أو مرتينْ

ويشربَ العرقْ

في مرةٍ يدفع سعرَهُ

من جهدِهِ

ومرةً بالدينْ

ووالدي يؤمن بالغرامِ بين الكبّةِ البتولِ

والعرقْ

تنتفض المِدقّةُ الحنونْ

وينثر الجرنُ غنائَهُ

على جوانح الطرقْ

ترتعش العيون والبطونُ والداخون

ويفرحُ الطبقْ

وضيفنا معلم الحسابْ

تأخذه على الشراب نوبةُ الجنونْ...

لا بد أنْ ... لا بد أَنْ
لا بُدَّ نقبل القرارْ
ووالدي يُغَلِّقُ الأبوابْ
خوفاً من الجيرانِ
والحيطانِ
والمختارْ

.....

يلعلع الرصاصُ والحداءُ
لندنُ العجوز مربط الخيولْ
ووالدي يخبئ المسدس المحشوَّ تحت رأسِهِ
وتُقرع الطبولْ
يضيعُ صوتُهُ، معلم الحسابْ

وتُقرع الطبولُ، تُقرع الطبولُ، تُقرع الطبولْ

وتصهل الخيولْ

يضيع صوته، معلم الحساب

وشهر أيارَ سينهي قصة العذابْ ؟!!

.....

وشهر أَيار يجيء امرأةً

تغوص في العفنْ

وشهر أَيار يروح قصةً

أولها عذابْ

آخرها عذابْ

وصوته يئن واهناً

معلم الحسابْ

- ١٠ -

أَذكُرُ ذاتَ عامْ

أخفقت في امتحان

الخط والحسابْ

وانهار في عينيَّ نور الشمسِ

والأحلامْ

وخفت أن أنزلَ عن قمتيَ المغروره

وراحت العصفوره

تدقُ كل بابْ

وتنشر الأنباءَ في

قريتنا الصغيره

.....

.....

وحملقت في خجلتي العيونُ

واشرأبت الرقَابْ

وظلّت العصفورة

تدقُّ كل بابْ

وتنشر الأنباء في قريتنا الصغيره

.....

.....

وبعد أسبوعيْنْ

تناست العيونُ والرقابُ قصة امتحانِ الخطّ

والحسابْ

لكنني بقيت في النارينْ

أخاف أن أنزل عن

قمتيَ المغروره

وعودة العصفوره

.....

.....

لو تُطفأ العيونْ

لو ترحل العصفورةُ اللعينْ

لو تمّحي الخطوط والحسابُ

لو

يحترق الكتابْ ؟!!

.....

.....

أَذكُرُ في منتصف الشهرِ

وقبلَ الفجرْ

انفجرت في قريتي العيونْ

وناحت العصفوره

وأصبحت مدرستي الحنونْ

مخيماً لنسوة المدينه

والهمم المقهوره

أَذكُرُ في منتصف الشهرِ

وبعد الفجر

امَّحتِ الخطوطُ والحسابْ

واحترق الكتابْ

وارتعدت صغيره

من رقةِ الثيابْ

يا ليتني نزلت ألفَ مرةٍ

عن قمتي المغروره

وظلت العصفوره

تدق كل بابْ

وظلت النسوة في المدينه

وظلت الطفلة في المدينه

تغمرها الثيابْ

-١١-

أَذكُرُ ذاتَ سنةٍ غريبه

تساقط الخوفُ على رؤوسنا

وفرَّخ الجراد

في حقولنا الحبيبه

وأصبحت قريتنا

في السنة الغريبه

ضحكتها مريبه

أحلامها مريبه

وأصبحت حياتُها

غريبةً

عجيبه

.....

أَذكُرُ مرتْ في السما طياره

وجلجلت هادرةً جباره

فهرول الرجال والنساءُ والأطفالْ

وجُنت الأزقَّةُ المحتاره

وهدَّها الحنينُ والسؤالْ

وامتلأت في الجبل المغاور

وامتلأت قريتنا

بالصمت والعساكرْ

وابتسمت في سرها الطياره

وجلجلت

هادرةً

جباره

امتلأت في الجبل المغاورْ

وامتلأت قريتنا

بالصمت والعساكر

وكان ((وصفي)) يشتهي الدجاج والحمامْ

فانقطع الدجاجُ من ساحاتنا

وانقطع الحمامُ

والكلامْ

وألهبت جلودَنا العساكرْ

واحترق القمحُ

على البيادر

.....

.....

ووالدي يبيع للجنود أفخر العرقْ

ويسكر الجنود والرصاصُ والخناجر

وتخجل الطرقْ

وتظلم العيونُ والخواطرْ

وكان وصفي يشتهي الدجاج

والحمامْ

ويشتهي العرقْ

وكان وصفي

يمنع الكلامْ

ويعنع العرقْ ؟!!

.....

.....

ويسكر الجنودُ والرصاصُ

والخناجرْ

وتبصق الأفواهُ

والبيادرْ

وكان وصفي

يحظر الرصاصَ والكلامَ والحبَّ

على العساكر

ووالدي

يُهَرِّب العرَقْ

ويشتري الخبز لنا

والزيت

والملابسَ الخَلَقْ ؟!!

الكافرُ ابنُ الكافرْ

يخدِّر الجنود والرصاصَ والضمائرْ

ويطعن القضيه

ويهدر القائدُ مثل أفحل الرجالْ:

فلتنسف الدارُ

ولا جدالْ

ولتعش القضيه ؟!!

ويبسم المختارْ

قنينةٌ من العرَقْ

تخفف القرار

ويضحك المختار

صندوقةً من العرق

تبخَّر القرارْ ؟!!

.....

.....

وذات يوم عادتِ اطياره

وجلجلت هادرةً جباره

التهمت قنابل الدمار بيت جاريَ ((خَزُّون))

ومزقت صديقي الحبيب أسعد المأمونْ

.....

.....

وكان وصفي يطلق الاشاره

وكانت الطياره

توزعُ الموتَ على الاشاره

وإذ تولّتْ في السما الطياره

وعادت الحياةُ للطرقْ

راح الجنود يزحفون في الشعابْ

عساكراً من الذبابّ

وراح وصفي يملأ السياره

قنانيَ العرَقْ

-١٢-

أَذكُر في مواسمِ الزيتونِ
والشتاءْ
تمتزج الأشياءْ
وتعمر البيوتَ بالحنانْ
ويرعشُ الدفء على
أجنحة السُمّانْ
ويلتقي الرجالُ
والنساءُ
والأطفالُ

والترابُ

والسماءْ

.....

أَذكُرُ في مواسمِ الزيتونِ والشتاءْ

تمتلئ العروقُ بالحياةِ

والعذوبه

قوافلٌ تفرّغ الزيتونْ

قوافل تمتدُّ في العيونْ

وقريتي الحبيبه

تزهر في كانونْ

ويزهر الضياءُ في معاصر الزيتونِ

والغناءْ

وتُزهر الأشياءْ

.....

.....

أَذكُرُ في مواسمِ الزيتونِ والشتاءِ

والأمانْ

يعودُ أحمدُ ألـــ.. فرّاطُ من حورانْ

يشيلني

يرفعني

يلفُّني

ويغمُرُ الخدين بالقُبَلْ

وضحكتي

ترنُّ في الآذانْ

كضحكةِ الحجلْ

....

....

يعود أحمد الْفرّاطُ من حورانْ

في كيسه الزبيبُ

والقِضامه

وأحمد الفراطُ

يعرف الجذوع

يعرف الفروع

يعرف الأغصانْ

ويعرف البكاءَ

إذ تهيج نسمةُ الصَّبا غرامَهْ ؟!

.....

.....

تمتزج السماءُ بالترابْ

وتولد الأشياءُ، الأشياءُ

والأشياءْ

في موسم الشتاء والزيتونْ

وبائع الدولابْ

يُلَوِّنُ الهواء والعيونْ

ولَفَّةُ الدولابْ

توزع الضياءَ في جوانح الأطفالِ

والأهدابْ

.....

.....

أَذكُرُ في المواسم الخصيبه

يعود بائع ((الحلا)) عدنانْ

تأخذنا فنونُه العجيبه

وصَوته المعطَّر الرنانْ

يُلقّع البلدْ

عصفورك الجميلُ يا ولدْ

عصفورك الجميلُ يا ولدْ

ويركض الصبيانْ

وتفرح الدروبُ في البلدْ

.....

.....

أَذكُرُ ذات موسمٍ مجنونْ

احترق الهواء في صدورنا

وانطفأ الزهر على

ذوائب الزيتونْ

وأظلم الضياءُ والغناء في البلدْ

وفي الحقول شاخت الأغصان

وأحمد الفراط لم يعد

وبائع الدولابِ لم يعد

ولم يعد عدنانْ ؟!!

.....

.....

من يومِها

أنتظر الزبيب والقضامه

أننظر الدولابَ والألوانْ

من يومها

أنتظر النداءَ أن يعود كالغمامه

عصفورك الجميلُ يا ولدْ

ويرقب الكهولُ والبنات والصبيان

ويرقب البلدْ ؟!!

-١٣-

أَذكُرُ

كان عارفٌ ينهمر الغناءُ من لسانِهِ

ويقطر العسلْ

أذكُرُ كان همةً

لا تعرفُ المللْ

ينهمر الغناءُ من لسانِهِ

لكنه

ما صعَّر الخدينِ في زمانِهِ

.....

.....

وعمه المختار لم يكن يحبُّه

لأنه حمامه

والناسُ

كل الناسِ في قريتنا

يستلطفون ظله

لأنه حمامه

....

....

وعمُّه المختار كان صادقاً

وكان واثقاً

وعمُّه المختار كان واهماً

يخال كل قبةٍ مزارْ

يظن كل ما

يلمع تحت الشمس ملءَ عينِهِ نُضارْ ؟!

يُطوِّقُ الجنودُ قريتي

وتُرفع الملاحفُ البيضاءُ فوق أسطح البيوتِ

والخنادقْ

وقبل أن يودع النهارْ

يُسلِّم الرجال صاغرين

غواليَ البنادقْ

وعمُّهُ

والفتيةُ المقاتلونْ

تشتتوا في الأرضِ لاجئين ؟!

.....

وعارفٌ لم يترك الترابْ

لأنه حمامه

وأم سلمان وشيخُها

ما فهما الأمرَ

ولم يغلّقا الأبوابْ

يروونَ

أطلق الجنودُ صليتيْنْ

وأم سلمانَ وشيخُها الضريرُ

يسقطان جثتينْ

وعارفٌ يظل في الدروب هيكلاً

يحرِّم الجنود دفنَهُ

رصاصةٌ في موضع القلبِ وأخرى

في عظام الهامه

وعارفٌ لا يترك الترابْ

لأنه غمامه

.....

يروون أن عمه المختار صار لاجئاً

ينتظر الطحينَ مثل غيره، والزيتَ والرجوعْ

لكنه ما عرف الدموعْ

يروون أنه

ما عاد واهماً ؟!

وظلَّ صادقاً

وظلَّ واثقاً

-١٤-

أَذكُرُ من طفولتي
لجأتُ مرتين
وشِخْت مرتين
.....
.....
وكان والدي يحبُّ خضرةَ الزيتونِ والهواءَ والترابْ
يحب دارَهُ التي
أوقفها بالدينْ
ورشَّ كل طوبةٍ فيها بدمع العينِ

والعذابْ

لكنه يحبنا أكثر من دقائقِ الترابْ

ومن قديم قالت الأمثال

المالُ والأرزاق والدنيا

فدى العيالْ

.....

.....

كشتلةِ الحبقْ

تهون إذ تريمُ حوضَها القديمْ

وتخفض الجبين والعنقْ

كشتلة الحبق

خفضت في اغترابيَ الحزينِ هامتي

وضاعت الأشياء والألعابُ

والوعودُ في

مفارق الطرقْ

ومثلما يعود طائرٌ

من غضبةِ الرياحْ

وصعقةِ المطرْ

لعشه الأمينْ

ومثلما تطل نجمةٌ

من حلكة السحابْ

ومثلما تلتئم الجراحْ

وتلتقي العيونُ بالعيونْ

ومثلما يعود غائبٌ

لأمه اللهيفةِ الحنونْ

رجعت ذات ليلةٍ

من غابة الضبابِ والعذاب والجنونْ

رجعت ذات ليلةٍ

من غابة الجنونِ والعذابِ والضبابْ

لا يعرف العذابَ من لا يطعم العذابْ

لا يعرف الغليل من لا يُحرمُ الهواءَ والغناءَ والترابْ

ينتزع الجنود طفلةً

من حضن أمها

ينتزعون وردةً

من كمِّها

ويقطعون رئةً لأنها تستعذب الهواءْ

ويفقأون أعينا

لأنها تحتضن الضياءْ

ويبترون شفةً

لأنها تقبِّلُ الورودْ

ويكسرون قدم السنونو

لأنه يعودْ

ويَحْطِمون الريشَ

والجناح والمنقارْ

لأنه يقدّس الترابْ

ويملأ البيوتَ بالبيوتِ

والحنينِ والصغارْ

لأنه يقدس الترابْ

لا يعرفُ العذابَ من لا
يطعم العذابْ

....

يقذفُنا الجنودُ كالأحذيةِ القديمه
ويصهل الجنودْ
لجأت في طفولتي، لجأت مرتينْ
وشِختْ مرتين
أحذيةٌ قديمه
وقصة مريرة مسمومه
تلتصق الخيام بالخيامْ
وتلتقي السماء بالترابِ
يلتقي العذابُ بالعذابْ

وتكبر الخيام، تكبر الخيامُ

من عمانَ حتى غوطةِ الشآمْ

ويصهل الجنودْ

ويرتوي من كأسِهِ يزيدْ

عفونة الخيامِ

ذلة الخيامِ والوكاله

وعالم يمتد من مضيق طارقٍ لكربلاءْ

تسحقُهُ النذاله ؟!

.....

.....

ومثلما تثور لهفة الرضيعِ

إذ تشدُّ ثدي أمِهِ

عن فمه الصغيرْ

ومثلما تغامر الطيورْ

رجعت ذات ليلةٍ من غابة الخيامِ والعماله

رجعت للترابِ والهواءِ

والغناءِ والعطورْ ؟!

......

......

وتزهر السماءُ والرجاءْ

ووالدي يظلّ في ترابهِ

تحدُّه هوية حمراءْ

....

....

وشتلة الحبقْ

تحلف لا تريم حوضها القديم

تحلف لا تريم

-١٥-

يا جيلنا المولودَ في الضياعِ
يا لداتيَ العطاشَ
والجياعْ
من منكُمُ لم تفركِ الحصاةُ قَدَمَهْ
من منكُمُ اشترى
له أبوهُ كرةً أو مقلمه ؟!
هل تذكرونَ لُعبة ((العاتولْ))
هل تذكرونَ كيف كنا
نمتطي العصيَّ

نلجم العصيَّ..

كالخيولْ ؟!!

......

يا جيلنا المولود في الضياعِ

يا لداتيَ العطاشَ

والجياعْ

من منكم نظّف يوما أنفَهُ بمحرمه

من منكم ما خوفته أمُّه

بالغول والضباعْ

من منكم ما بلّتِ الأمطارُ جسمهُ

من فرعِهِ لأخمص القدمْ

من منكم قبله أبوه أو حنا عليه عمّ

من منكُمُ استوفى على لَبان أمِّهِ

مرحلة الرضاعْ

يا اخوتيَ العطاش والجياعْ

يا جيلنا المولود في الضياعِ

يا لداتيَ العطاشَ والجياعْ

من منكمُ ما رمدَتْ عيناه في مواسم التينِ

وفي مواسم الغبارْ

من منكم أحسَّ دفءَ المعطف الحنونِ، والصدارْ

من منكم لم تأكل العصا

من دَبْرِهِ

من منكم ما علّمتْ أصابع الأستاذ في خديهْ

من منكم يعرف طعم الكعك والحليبْ

من منكم ما سوَّدَ السراج منخريه

من منكم ما انداحَ خلف الخرف في الظلام بؤبؤاه

من منكم ما انفلتت من صدره في اليومِ ألف آهْ

من منكم لم تلعب الشفرةُ في أذنيه

ولم تفرخ البثورُ في يديه

من منكم لم يجمع الروث عن الدروبْ

من منكم لم يشرب البول دواء الحصبة العجيبْ ؟!

.....

يا جيلنا المولود في الضياعِ

يا لداتيَ العطاش والجياع

من منكم يعرف طعم الكعك والحليب منْ ؟!

من منكم يشرح معنى لفظة الوطن ؟!

-١٦-

أسير للوراءِ

لا

أسير للأمامِ، للأمام، للأمامْ

يذوب في رحيله الغمامْ

لكنه يواعدُ الرياحَ والبذور والشجرْ

....

أسير للوراء ؟! لا

أسير للأمام، للأمام، للأمامْ

يموت دون عشه اليمامْ

لكنه يستودع الحناجر اللدان لحَنَهُ
يُعلّم القوادمِ اللطافَ أن تلوّن السحرْ

.....

.....

أسير للوراءِ

لا

أسير للأمامِ، للأمامِ، للأمامْ

تئن من جروحها الأقدامْ

لكنها تهيئ الدروبَ للقوافِلِ الأُخَرْ

.....

.....

نسير للأمامِ

للأمامِ

للأمامْ

يا دورةِ الأيامْ

حديثُنا سفرْ

وصمتنا سفرْ

وخطوُنا، وشجوُنا، ولهوُنا سفرْ

نسير للأمامْ

لكننا نوسع الطريق للأحبابِ

صوبَ دارةِ القمرْ

الكاتب في سطور

شكيب جهشان .. شاعر وأديب فلسطيني متميز. نشر إنتاجه الشعري منذ أواسط الخمسينيات، ولكنه لم يتفرغ لجمع أشعاره ونشرها في دواوين إلا في السنوات الأخيرة ، صدرت مجموعته الأولى « أحبكم لو تعرفون كم » عام ١٩٨٨ ثم أتبعها بالمجموعة الثانية « ثم ماذا ؟ » في العام التالي.

وتمثل هذه المطولة الشعرية « أذكر» محطة هامة في مسيرة شكيب جهشان الأدبية، وهي مسيرة طويلة زمنياً، رفدتها موهبة شعرية واضحة، إلا أنها ظلت سنوات طويلة تتحرك ببطئة وفي هدوء.